﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: 24 - 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بعد العنادِ في الاستعجال بالجزاء يأتي الإيفاء بالوعيد وإنفاذ التَّهديد

لمّا ذكر النَّظم الجليل في الآيات السّابقة استعجالَ قومِ هودٍ عليه السلام العذابَ وما أتبعه من جواب هودٍ لهم وإخبارهم بأنَّ العلم بوقته إنَّما هو لله تعالى، وإنَّما هو مبلِّغ بما أرسل الله به، ناسب أن يذكر بعد ذلك مجيء العذاب وإقباله عليهم، وانتقامه منهم واستئصالهم[1]؛ فليس بعد العنادِ والإصرار على المناداة على العذابِ إلّا نزولُه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَارِضًا﴾: (عرض) أصله العَرْضُ الَّذي يُخالِفُ الطّولَ[2]، والعارض من كلِّ شيء ما استقبلك كالسَّحاب العارض ونحوه، والعَرْضُ: السَّحاب[3]، والعارِضُ: البادي عَرْضُهُ، فتارةً يُخَصُّ بالسَّحاب نحو: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، وبما يَعْرِضُ من السَّقَم، فيُقال: به عارِضٌ من سُقْمٍ، وتارة بالخدِّ نحو: أخَذَ من عارِضَيه، وتارة بالسِّنِّ، ومنه قيل: العَوارِضُ للثَّنايا الَّتي تظهر عند الضَّحك[4]، والمراد به في الآية الكريمة: السَّحاب الَّذي يُرى في ناحية السَّماء[5].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 30، وينظر: البقاعي، نظم الدرر: 18/ 167 - 168.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرض).
(3) الخليل، العين: (عرض).
(4) الراغب، المفردات: (عرض).
(5) الواحدي، البسيط: 20/ 193.

2) ﴿مُّسْتَقْبِلَ﴾: (قبل) أصل يدلُّ على مواجهة الشَّيء للشَّيء[1]، والقُبُل: من إقبالك على الشَّيء، ومُقابَلة وقُبالةٌ: ما كان مستقبل شيء[2]، والقَبْل والإقبال والاستقبال: التَّوجُّه[3]، والاستِقبالُ: ضدُّ الاستِدبار، واستَقبَلَ الشَّيءَ، وقابَلَهُ: حاذاهُ بِوَجْهِهِ[4]، ومن الاتِّجاه إلى الشَّيء: قَبَلَتِ الماشيةُ أفواهَ الوادي: استَقْبَلته، أي: سلكت فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾[5]، والمراد به في الآية الكريمة: مقابِلَ أوديتهم متوجِّهًا إليها[6].

3) ﴿تُدَمِّرُ﴾: (دمر) أصل واحد يدلُّ على الدُّخول في البيت وغيره[7]، ودَمَرْتُ الدّارَ: دَخَلْتُها، والدُّمورُ: الدُّخولُ على القَوم بلا إذنٍ[8]، والدَّمار: استئصال الهلاك، دَمَرَ القَومُ يَدمُرونَ دمارًا: هلكوا[9]، وأصل التَّدمير إدخال الهلاك على المُهلَك، يقال: دمر، أي: دخل، ودَمَروا، أي: هلكوا بدخول الهلاك عليهم، والتَّضعيف فيه للتَّعدية[10]، والمراد به في الآية الكريمة: الإهلاك والاستئصال[11].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تفجيعُ الجاهلين بـأنَّ السَّحاب عذاب نقمةٍ، لا غيثُ رحمة

يخبر النَّظم الكريم أنَّ عادًا لمّا رأوا السَّحاب عارضًا في أفق السَّماء؛ استبشروا به، وظنّوه مطرًا يسقي أرضهم قد توجَّه إلى أوديتهم، فقالوا: هذا سحاب ممطر لنا، فقال مُضربًا عن قولهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قبل).
(2) الخليل، العين: (قبل).
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: (قبل).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (قبل).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (قبل).
(6) الخفاجي، عنايه القاضي وكفاية الراضي: 8/ 34.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دمر).
(8) ابن عبّاد، المحيط في اللغة: (دمر).
(9) الخليل، العين: (دمر).
(10) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (دمر).
(11) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 124.

هذا مبطلًا له: هذا ليس سحابَ مطرٍ ولا غيثَ رحمةٍ - كما ظننتم - بل هو العذاب الَّذي استعجلتموه، فهو ريح تحمل العذاب الأليم، وإنَّها تهلك كلَّ شيء تمرُّ به من نفوس وأموال بإذن ربِّها الَّذي أرسلها، فصاروا بعد ذلك في حالة لا يرى المارُّ بديارهم إلّا آثار مساكنهم؛ إذ جعلت الأنفس والأموال أثرًا بعد عين، ومثل ذلك الجزاء العظيم نجزي كلَّ مجرمٍ بسبب كفره وإجرامه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الفاء ودلالتها:

مجيءُ العذابِ بعد التَّكذيب تحقُّقٌ واستحقاق

افتتح النَّظم الجليل الجملة بالفاء في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾، وهي تحتمل أن تكون الفصيحة، تفصح عن محذوف مقدَّر، أي: أتاهم ما استعجلوه، فلمّا رأوه[2]، فطوى النَّظم ذكر ما حدث بين تكذيبهم هودًا ﷺ، وبين نزول العذاب بهم، وتحتمل أن تكون للتَّفريع والتَّعقيب السَّريع؛ للدَّلالة على أنَّ ما استعجلوه قد لحقهم، ولم يتأخَّر عنهم، فقد فزَّعت بقيَّة القصَّة على ما سبق ذكره منها[3].

دلالةُ استعمال (لمّا) الحينيَّة المتضمِّنة معنى الشَّرط:

المبادرةُ بالاستبشار والغفلة عن الوعيد دليلُ الجهلِ الأكيد

عبَّر النَّظم الجليل بـ (لمّا) في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ﴾، وهي هنا ظرف زمان بمعنى (حين)، وهي تربط بين جملتين ربط الشَّرط بجوابه[4]، "أي: فلمّا رَأوا السَّحاب الَّذي نشأت منه الرّيح الَّتي عُذِّبوا بِها قد عَرَضت في السَّماء؛ قالوا الَّذي وعَدْتَنا به سحابٌ فيه الغيث والحياة

(1) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 30 - 32، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 505.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي 17/ 481.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 49.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 9/ 44.

والمطر"[1]، فدلَّ ذلك على أنَّهم بادروا بقول ذلك وقت رؤيتهم السَّحاب دون تروٍّ منهم؛ إظهارًا لسخريتهم بما وعدهم به.

نوع الرُّؤية ونكتة استعمالها في قوله: ﴿رَأَوْهُ﴾:

رؤيةُ العذابِ بالعين إدراكٌ للمرئيِّ لكن هيهات مع مطموسِ البصيرة

عبَّر النَّظم الجليل بلفظ الرُّؤية في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾، وهي هنا رؤية بصريَّة، أي: أبصروه[2]؛ وذلك للدَّلالة على أنَّ العذاب الَّذي احتواه السَّحاب الأسود الَّذي قصدهم قد ظهر في الأفق بحيث يراه كلُّ مبصر[3]، وعبَّر بالرُّؤية دون البصر؛ لأنَّ البصر يُقال للجارحة النّاظرة، نحو قوله تعالى: ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: 77][4]، أمّا الرُّؤية؛ فهي إدراك المَرئِيِّ بحاسَّة البصر[5]، فالرُّؤية إدراك ما يُبصَر، وفائدة التَّعبير عن كونهم رأوه؛ "للإشعار بأنَّ جهلكم ظهر ظهورًا تامًّا بحيث يكون محلًّا للرُّؤية"[6]، فمن أبصر العذاب؛ كان حريًّا به أن يستجيب لأسباب دفعه، ولكن لجهلهم تمادوا حتّى في ساعة حلوله عليهم؛ إيغالًا منهم في الجهل والتَّمادي.

بيانُ مرجع الضَّمير:

إبهامُ ذِكرِ العذابِ أشدُّ وقعًا في البيان

أجاز أئمَّة التَّفسير في الضَّمير المنصوب في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ أن يكون عائدًا على ما بعده وهو السَّحاب، أي: على قوله: ﴿عَارِضًا﴾، أي: فلمّا رأوا السَّحاب عارضًا؛ فهو مبهم، يفسِّره ما بعده[7]، وهذا الوجه مقبولٌ؛ لأنَّ تقديمَ الإبهام، ثمَّ تعقيبه بالتَّوضيح أوقع في النُّفوس[8]، ويجوز أن يكون عائدًا

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 445.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 69.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 168.
(4) الراغب، المفردات: (بصر).
(5) الراغب، المفردات: (رأى).
(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي 17/ 481.
(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 25، والإيجي، جامع البيان: 4/ 130.
(8) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي 17/ 481.

على ما قبله، وهو (ما) في قوله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، أي: فلمّا رأوا ما يعدهم به عارضًا[1].

سرُّ إيثارِ التَّعبير بالعارض دون السَّحاب:

العارضُ أخصُّ من السَّحاب، فهو يملأ عرض السَّماء وأفقها

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ العارض دون السَّحاب في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾؛ وذلك لبيان هيئته حال رؤيتهم له، فقد عَرَض لهم في أفق السَّماء[2]، فسُمّي السَّحاب بذلك؛ لأنَّه يظهر، ويبدو في عرض السَّماء[3]، فأتى بالصِّفةِ دون الموصوف، ونزَّلها منزلةَ الموصوف؛ لبيان شدَّة انخداعِهم بأنفسِهم، وقوَّة عذاب الله تعالى المباغت.

بلاغةُ الإسناد المجازيِّ:

إسنادُ العروض للسَّحاب دليلُ قوَّته وقصديَّته

التَّعبير بالاستقبالِ هو من بيانِ الواقع الصّادق الَّذي أخبر عنه القرآن، فدلَّ ذلك على المجاز في لفظ: ﴿عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾؛ لما فيه من القصد الإسناديِّ، أي: عرض السَّحاب مستقبلًا أوديتهم، فهو إسنادٌ مجازيٌّ، قصد به النَّظمُ بيانَ قوَّة السَّحاب القادم في استقبالِ الأودية؛ لإيقاع ما استعجلوا به من العذاب المبين، وأنَّه قصدٌ صادرٌ عن أمرٍ إلهيٍّ؛ فإسنادُ الأفعالِ لغير العقلاءِ إسنادٌ مجازيٌّ عقليٌّ.

نكتةُ استعمال ﴿مُّسْتَقْبِلَ﴾ مادَّة وصيغة:

بيانُ شدَّةِ الاقترابِ المقابلِ لشدَّة الغفلةِ

عبَّر النَّظم الجليل بلفظ الاستقبال في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه كان متوجِّهًا إليهم، فهو يقصُدُهم مستقبلَ أوديتهم؛ ليوقع بهم أمرَ الله تعالى، وقد كانوا ذلك الوقت - فيما يُروى - مجدبين، حبس عنهم المطر، فلمّا توجَّه إليهم؛ استبشروا، وحسبوه سحابًا مثقلًا بالغيث؛ توجَّه إلى

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 25.
(2) الإيجي، جامع البيان: 4/ 130.
(3) القنوجي، فتح البيان: 13/ 32.

بلادهم[1]، وجاء التَّعبيرُ بصيغة الاستفعال؛ للدَّلالة على الطَّلب، أي: قصدهم، وطلبهم متوجِّهًا إليهم[2].

توجيهُ تخصيص الأودية بالذِّكر:

الأوديـــةُ منزل النّـاس وموئل المياه

خصَّ النَّظمُ الجليل ذِكرَ الأودية في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾؛ لأنَّهم كانوا ينزلون الوادي، وهو يطلق على منزل القوم ومحلِّ سكناهم، فهُم ينزلون فيه؛ لأنَّه مقرُّ المياه[3]، ولأنَّ ما تمنَّوه، وأرادوه أن يكون المطر نازلًا على الأودية الَّتي هي موطن زراعتهم وموئل مائهم، وفي اختيار لفظ الأودية إيماءٌ إلى أنَّ السَّحاب جاءَ من جهتِها ثم باغتهم العذاب، وهذا من بديع تصويرِ القرآنِ؛ لما وقع لهم من طمأنينة الأمر، ثم نزول العذاب.

نكتةُ جمعِ الأودية:

جاء ذِكر الأودية جمعًا مضافًا إلى الضَّمير العائد على عادٍ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾؛ لبيانِ كثرتِها، المشيرة إلى وفرةِ الخير فيها، وأنَّهم ملكوها بالانتفاع.

الموقعُ البيانيُّ لجملة جواب (لمّا):

التَّعجُّل بالاستبشار في مقامِ الوعيدِ إطباق غفلة

جاء قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ﴾؛ جوابًا لـ (لمّا)، فهي جملة جواب الشَّرط[4]؛ وذلك للدَّلالة على أنَّهم قالوا ذلك حال رؤيتهم السَّحاب في عرض السَّماء، فلم يتأخَّر قولُهم عن رؤيتهم، وهو ما يومئ إلى العجلةِ في القولِ، دون تنبُّهٍ لما بعد العارضِ من ممّا سيكون من نزولِ الأمر الموعودين به، وهو ما يُصوِّر إطباقَ الغفلةِ الَّتي وقعوا فيها، وتمام السَّكرة الَّتي أُشربوها.

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 323.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 168.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 49.
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 192.

نكتةُ ذِكر المسند إليه ﴿هَذَا﴾:

تصويرُ حالةِ الاستبشارِ بالخيرِ والفرح بالمجهولِ

ذكر النَّظمُ الجليل اسم الإشارة في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالُواْ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ إشارة إلى ظهور السَّحاب أمام أعينهم، وأنَّهم قالوا ذلك بعد أن رأوه بأمِّ أعينهم، وعبَّر بصيغة القرب؛ للدَّلالة "على أنَّهم في غاية الجهل؛ لأنَّ جهلهم به استمرَّ حتى كاد أن يواقعهم"[1]، ولم يأتِ النَّظمُ بهذا الأسلوبِ: (قالوا عارض ممطرنا)؛ وذلك لتصويرِ حالهم، وهم يُشيرون إلى السَّحاب في جوِّ السَّماء من مبدأ رؤيتِه؛ استبشارًا به، وبما يكون معه من الخيرِ العميم، فاسم الإشارةِ لاستحضارِ صورة حالتِهم الَّتي تُنبئ عن احتياجِهم، وأمّا اختيارُ اسم الإشارة القريب دون البعيد؛ لبيان استقرابهم لخيره.

نكتةُ استعمالِ لفظ المطر، ودلالة إضافته:

لا يغيث شدَّة قحطهم إلّا مطر شديد

عبَّر النَّظم الجليل بلفظ المطر في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالُواْ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ دون الغيث؛ لأنَّه لمّا سيق مساق العذاب، وكان شديد السَّواد حتّى ظنّوه ممتلئًا ماءً، يُغاثون به بعد القحط[2]، وقد ذكر أئمَّة التَّفسير أنَّ القرآن دأب على استعمال (أمطرنا)؛ لمّا كان عذابًا، وأنَّ (مُطِرنا) تُستعمَل لمّا كان رحمة، أمّا في لغة العرب؛ فهما سيّان[3]، والَّذي جاء في الآيةِ بناءً على استبشارِهم، فهُم رأوه ممطرًا بمعنى يأتي بالماءِ من السَّماءِ، والإضافة فيه ليست حقيقيَّة؛ لأنَّه مضاف إلى معموله، والتَّقدير: ممطر إيّانا، ولذا صحَّ أن يأتي صفة لـ (عارض)، وهو نكرة[4].

نكتةُ حذف فعل القول قبل حرف الإضراب:

سرعةُ الاستئصال بلا ذكر فعل المقال

حذف النَّظم الجليل فعلَ القولِ في قولِه جلَّ شأنه: ﴿بَلْ هُوَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 168.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 168.
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (مطر).
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 25، والخفاجي، عنايه القاضي وكفاية الراضي: 8/ 34.

﴿مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، فلم يقل: (قال بل هو)؛ للدَّلالة على أنَّ الحال لم يكن فيه قول، لسرعة الاستئصال، وتحقُّق الدَّمار[1]، فالحدث وقع سريعًا مباغتًا، وهو ما يُناسب الاستعجال، ويجوز أن يكون القولُ من قول هود ﷺ؛ إن كان بين ظهرانيهم، ولم يكن خرج قبل ذلك إلى مكَّة، أو هو من قول بعض رجالهم، رأى مخائل الشَّرِّ في ذلك السَّحاب، وإنَّما حذف فعل القول لتمثيل قائل القول كالحاضر وقت نزول هذه الآية، وقد سمع كلامَهم، وعلم غرورهم، فنطق بهذا الكلام ترويعًا لهم، وهذا من استحضار الحالة العجيبة[2].

بلاغةُ استعمال حرف الإضراب:

إبطالُ الاستبشار والتَّعجيل بخبر التَّنكيل

عبَّر النَّظم الجليل بحرفِ الإضراب في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ وذلك لنقض قولهم؛ إبطالًا لاستبشارهم، وتعجيلًا لهم بالمساءة[3].

نكتةُ التَّعبير بالضَّمير دون اسم الإشارة:

ما استعجلوه هو السَّحاب الماثل لهم عينه

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالضَّمير في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾ دون اسم الإشارة، فلم يقل: (هذا ما استعجلتم به)؛ للدَّلالة على أنَّ العذاب هو عين ما استعجلوه، ولاستحضار ما شاهدوه بذاته لا بالإشارة إليه؛ فإنَّ التَّعريف بالضَّمير أقوى من تعريف الإشارة.

نوع ﴿مَا﴾ ودلالتها:

المُستعجلُ من العذابِ هو المُستبشرُ من السَّحاب

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾، أي: العارض الَّذي ترونه[4]، وجيء

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 301.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 50.
(3) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 323.
(4) الخطيب، السراج المنير: 4/ 14.

بالموصول؛ لما في حيِّز الصِّلة من تعريف المذكور، فما استبشروا به هو ذاته ما استعجلوه من العذاب، كما أنَّه يدلُّ على تفخيم شأن المذكور وتهويله، لما في ﴿مَا﴾ من الإبهام.

براعةُ استعمال فعل ﴿ٱسْتَعْجَلْتُم﴾ مادَّة وصيغة:

سؤالُ العذاب تعجيل له وطلب لإنفاذه

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظِ العجلة في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ لدلالة العجلة على طلب الشَّيء وتحرّيه قبل أوانه[1]، وجاء التَّعبير بصيغة الاستفعال؛ للدَّلالة على أنَّهم بالغوا، وتكلَّفوا في طلبهم تعجيل العذاب[2]، واستعجالهم العذاب إشارة إلى قولهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3].

نوع الباء ودلالة استعمالها:

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الجرِّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾، وهي هنا للتَّعدية، أي: ما طلبتم العجلةَ في إتيانه من العذاب[4].

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿رِيحٌ﴾، ودلالة تنكيره:

الـرّيـحُ سببُ العذاب الحاملة له

عدل النَّظم الجليل عن العارضِ إلى ذكر لفظ الرّيح في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ لأنَّ الرّيح هي السَّبب بجمع ذلك السَّحاب وركمه[5]، وجاء التَّعبير بصيغة التَّنكير؛ تعظيمًا لشأن الرّيح وتهويلًا لها، أي: إنَّها ريح عظيمة ركمت السَّحابَ الَّذي ترونه، فقد جاءتكم بالعذاب، لا بالغيث الَّذي تظنّون.

بلاغةُ التَّعبير بحرف الظَّرفيَّة:

الرّيحُ العاصفة اشتدَّت حتّى كأنَّها العذاب نفسه

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (في) الدّالِّ على الظَّرفيَّة في

(1) الراغب، المفردات: (عجل).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 169.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 30.
(4) الخطيب، السراج المنير: 4/ 14.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 169.

قوله جلَّ شأنه: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، والمرادُ من الظَّرفيَّة هنا بيان شدَّة الملابسة بين العذاب والرّيح، وذلك للمبالغة في تسبيب الرّيح للتَّعذيب[1]، فصار العذابُ مظروفًا في الرّيح، وهي حاوية له.

نكتةُ تقديم ﴿فِيهَا﴾ على ﴿عَذَابٌ﴾:

تأخيرُ العذاب تهويل له واهتمام بشدَّة الرّيح

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة على المسند إليه في قوله جلَّ شأنه: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فلم يقل: (عذابٌ أليم فيها)؛ اهتمامًا بشأن الرّيح؛ لأنَّها هي آلة العذاب وظرفه وسببه، وأخَّر العذاب تهويلًا له.

نكتةُ استعمالِ ﴿عَذَابٌ﴾ دون (عقاب) وتنكيره:

التَّصريحُ بالإيجاع الشَّديد أبلغُ في بيان التَّنكيل

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالعذاب دون العقاب، في قوله جلَّ شأنه: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ لدلالة العَذابِ على الإيجاع الشَّديد[2]، أمّا العقاب؛ فهو ما يكون عقب الذَّنب ومتأخِّرًا عنه[3]، فعبَّر النَّظم الجليل بالعذاب؛ لأنَّ المرادَ بيانُ ألم العذاب وشدَّته لا أنَّه وقع عقب ذنوبهم وكفرهم، وأمّا الغرضُ من تنكيره؛ فهو تعظيمه.

بلاغةُ الوصف بلفظ ﴿أَلِيمٌ﴾:

وصفُ العذابِ بالألم أخصُّ من وصفه بالشِّدَّة

آثر النَّظمُ الكريم وصف العذاب بالألم دون الشِّدَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ دون أن يقول: (عذاب شديد)؛ لأنَّ لفظَ الشِّدَّة يدلُّ على قوَّة في الشَّيء[4]، فهو يدلُّ على شدَّة مطلقة، أمّا التَّعبير بأليم؛ فإنَّه يبيِّن أنَّ الشِّدَّة كائنة في الألم، فهو شديد الإيلام[5]، فهو تصريح بنوع الشِّدَّة، وهو الإيلام، ثمَّ إنَّ الأليمَ وصفٌ للعذابِ، والرّيح هي الشَّديدة، فدلَّ النَّظم على اجتماع شدَّة الرّيح، وألم العذابِ الَّذي فيها.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 50.
(2) الراغب، المفردات: (عذب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شد).
(5) الخطيب، السراج المنير: 4/ 14.

بلاغةُ استعمال لفظ ﴿تُدَمِّرُ﴾ دون (تهلك) مادَّة وصيغة:

إدخـالُ الهلاك أفظع من مطلق الهلاك

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالتَّدمير دون الإهلاك في قوله جلَّ شأنه: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾؛ وذلك لدلالة أصله على الدُّخول في الشَّيء[1]، ومنه التَّدمير: وهو إدخال الهلاك على الشَّيء[2]، فكأنَّ الهلاك ذاتٌ أُدخِلت عليهم، فهو أبلغ من التَّعبير بالإهلاك؛ إذ دلَّ على حلول الهلاك ونزوله بدل المطر؛ لذلك فسَّرَه البقاعيُّ بالشِّدَّة، وفسَّر معنى الدُّخول فيه بالهجوم، "أي: تهلك إهلاكًا عظيمًا شديدًا سريعًا، تأتي بغتة على طريق الهجوم"[3].

دلالةُ لفظِ العموم ﴿كُلَّ﴾ وإضافته إلى شيء:

عمـومُ كـلِّ مـخـصـوص بـأنـفـسـهـم وأموالهم

عبَّر النَّظم الجليل بلفظ العموم ﴿كُلَّ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾، والمراد به الخصوص[4]، فالمراد به نفوسهم وأموالهم[5]، كما أنَّه يدلُّ على الكثرة هنا، فهو مستعمل في كلام العرب بمعنى الكثرة، أي: تدمِّر ما من شأنه أن يهلك بالرِّيح العاتية من الإنسان والحيوان والديار[6]، وفي إضافة ﴿كُلَّ﴾ إلى لفظ ﴿شَيْءٍ﴾ دليل العموم الاستغراقيِّ، فهو يعمُّ كلَّ ما من شأنِه أن يقع عليه التَّدمير، فلا تنجو منهم نفسٌ، ولا يُنقذ منهم أحد، ولا يبقى لهم أثرٌ فاعل في الحياةِ.

نوع الباء ودلالتها:

عبَّر النَّظم الجليل بحرف (الباء) في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾، وهي هنا دالَّة على السَّببيَّة، أي: بسبب أمر ربِّها[7]، وفائدة ذلك الرَّدُّ على من توهَّم أنَّها مؤثِّرة بنفسها[8].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دمر).
(2) الراغب، المفردات: (دمر).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 169.
(4) ابن جزي، التسهيل: 2/ 278.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 86.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 50.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 50.
(8) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 169.

معنى لفظِ الأمر ودلالته:

العـذابُ بأمر الله لا من شأن الطَّبيعة

عبَّر النَّظم الجليل بلفظِ الأمر في قوله جلَّ شأنه: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾؛ وذلك للدَّلالة على أنَّ ما وقع من هلاك ودمار إنَّما هو بقدرة الله تعالى، وأنَّها تفعل ما تفعل؛ لأنَّها مأمورة من الله تعالى[1]، فإهلاكها ليس من الطَّبيعة والأنواء، بل هو أمر حدث ابتداءً من الله تعالى لأجل تعذيبهم[2].

دلالةُ إضافة لفظِ الأمر إلى عنوان الرُّبوبيَّة:

حركةُ الرّيح إرادةٌ ربّانيَّة وحكمةٌ سنيَّة

أضاف النَّظم الجليل لفظَ الأمرِ إلى عنوان الرُّبوبيَّة في قولِه جلَّ شأنه: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾؛ وذلك للدَّلالة على أنَّ الرّيح إنَّما تتحرَّك بمشيئته تعالى، فلا توجد نابضة ولا قابضة ولا حركة ولا سكون إلّا بمشيئته، وللدَّلالة على انتفاء معارضته، فهو أمرٌ نافذ على الحتم[3]، والإضافة بمعنى (من)، أي: بأمرٍ من ربِّها، وأُضيف لفظ الرُّبوبيَّة إلى ضمير الرّيح؛ للدَّلالة على عظمة شأنها، وبيان أنَّها جنديٌّ من جنوده تعالى، كما أنَّه يشير إلى عظمة بارئها، فإنَّ مثل هذه الرّيح العظيمة مملوكة له، منقادة لأمره[4].

دلالةُ التَّعبيرِ بعنوان الرُّبوبيَّة دون الألوهيَّة:

التَّدميرُ بالرّيحِ من آثارِ رعايةِ الرُّبوبيَّة للخلقِ

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بعنوان الرُّبوبيَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾؛ للدَّلالة على أنَّه هو المبدع والمربّي لها، والمحسن بتكوينها للانتقام ممَّن يستحقُّ العقاب من عباده[5]، فإيجاد الرّيح وجعلها آلة من آلات العقاب محسن إلى النّاس باستئصال من يعارض الفطرة الَّتي رضيها الله تعالى لهم.

---

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 301.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 25.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 115، والقاسمي، محاسن التأويل: 8/ 449.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 304.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 170.

نوع الفاء في قوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾ ودلالتها:

قبل الهلاك عاينوا شدَّة الرّيح وذاقوا ويل العذاب

افتتح النَّظم الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ بالفاء، وهي هنا الفاء الفصيحة؛ إذ دلَّت على محذوفٍ دلَّ عليه السّياقُ، "أي: قال لهم هود ذلك، ثمَّ أدركتهم الريح، فأبادتهم، فأصبحوا لا يُرى إلّا مساكنهم"[1].

براعةُ التَّشبيهِ في استعمال مفردة ﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾:

تشبيهُ أيّام العذابِ ولياليه بليلةٍ مظلمةٍ واحدةٍ

عبَّر النَّظمُ الجليل بالإصباح في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾، والمراد به معنى مطلق الكون، أي: (صاروا)، وهو ليس متعلِّقًا بالإصباح، وإنَّما عبَّر بالإصباح؛ لأنَّ المصيبة فيه أعظم[2]، فـ (أصبحوا) بمعنى صاروا؛ لأنَّه ليس المراد أنَّ تدميرَهم وقع ليلًا، فقد دُمِّروا أيامًا ولياليَ، فهلك بعضهم في الصَّباح، وبعضهم في المساء[3]، كما أنَّ التَّعبير بالإصباح يشير إلى شدَّة هلاكهم، فهُم فَنوا فناءً تامًّا بحيث انتفت رؤيتهم حتّى وقت الإصباح، الَّذي تتَّضح فيه الأشياء، فذكر الإصباح باعتبارِ آخر يومٍ مرَّ بعد تدميرِ الرّيح، ففيه تصويرُ مشهدِ الإصباحِ بعد مرور ظلمةِ أيّام العذاب والهلاك، كما أنَّ فيه تشبيهًا لأيّام العذاب ولياليه بليلةٍ واحدةٍ، ثمَّ أصبح النَّهار بعد ذلك بانعدام رؤيةِ شيءٍ إلّا مساكنهم.

براعةُ التَّعبير بأسلوب القصر:

هذه الدّيارُ، فأين الكفّار الَّذين جحدوا ربَّهم؟

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاستثناء في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾؛ لنفي رؤية كلِّ شيء وإثباتها للمساكن، فحصر الرُّؤية بالمنازل؛ تعبيرًا عن شدَّة الهلاك، أي: لو حَضَرَ مَن حَضر، فإنّ تحقّق المعاينة لن تقع إلا على أطلال منازلهم البائدة فقط[4].

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 302.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 170.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 51.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 115.

دلالةُ بناء المضارع ﴿يُرَىٰٓ﴾ للمفعول:

كنايةٌ عن تمامِ الاستئصالِ وكمالِ الاجتثاث

في قوله تعالى ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ قراءتان، إحداهما ببناء فعل الرؤية للمفعول مُذكّرًا، وهي قراءة عاصم وحمزة ويعقوب وخلف[1]، ودلَّ التَّعبيرَ عن الرُّؤية بالفعل المبنيِّ للمفعول هنا على انتفاء مطلق الرُّؤية، لا عن راءٍ ما، وجاء ذلك تأكيدًا؛ لنفي رؤية أيِّ شيء غير المساكن، والتقدير: (لا يُرَى النّاسُ لِأنَّهُم كانوا تَحْتَ الرَّمْلِ، وإنَّما تُرَى مَساكِنُهُم لِأنَّها قائِمَةٌ)[2]، وتعبيرًا عن شدَّة الإهلاك والاستئصال، فمهما استمرَّ نظرُ الرّائي؛ فلن يرى إلّا المساكن؛ فهي كنايةٌ عن تمام الاستئصال، وكامل الاجتثاث.

علَّةُ تذكيرِ فعل ﴿يُرَىٰٓ﴾:

الفرعُ المستثنى لا يحكم على الأصل في الاستعمال

عبَّر النَّظمُ الجليل بفعل الرُّؤية بصيغة المذكَّر الغائب على قراءة عاصم وحمزة ويعقوب وخلف[3] في قوله تعالى: ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾؛ والمساكن مؤنّث، وتوجيه ذلك أنَّه تأنيث غير حقيقيٍّ، وفصل بينه وبين الفاعل بـ ﴿إِلَّا﴾[4]، ونكتة ذلك بيانيًّا، أنَّ الغالب في الاستعمالِ هو المذكَّر، والمنفي هو ما يتوقَّع أن يراه الإنسانُ، فيدخل فيه المذكَّر الغالب والمؤنَّث، فلمّا نفى أن يُرى شيءٌ؛ كان على الأصلِ؛ لأنَّ المنفيَّ مذكَّرٌ، ولم يُعلم أنَّ الذي سيُذكر مؤنَّث، فجاء على الأصلِ على هذا الوجه، والاستثناء له حكم الفرعِ، ولا يحكم الفرع على الأصل.

بلاغة القراءة بالخطاب والبناء للمعلوم في فعل الرؤية:

وثاني القراءتين هي: ﴿لَا تَرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنَهُمۡۚ﴾ ببناء فعل الرؤية للفاعل المخاطَب، ونصب لفظ ﴿مَسَٰكِنَهُمۡۚ﴾ وبها قرأ الحرميان والبصريان وابن عامر والكسائي، ووجهه أنه خطاب للنبي ﷺ، فهو

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 373.
(2) نقله القرطبي عن الفراء، يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 208.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/ 373.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 51.

فاعل ﴿تَرَىٰٓ﴾، وانتصب (المساكن) بوقوع الفعل عليها، لأنّ الرؤية هنا من رؤية العين، فتتعدّى إلى مفعول واحد، والتقدير: (لا ترى شيئًا إلا مساكنَهم، لا أحد فيها)[1].

ويجوز أن يكون الخِطابُ "لِكُلِّ أحَدٍ تَتَأتّى مِنهُ الرُّؤيَةُ تَنْبيهًا عَلى أنَّ حالَهم بِحَيْثُ لَوْ حَضَرَ كُلُّ أحَدٍ بِلادَهم لا يَرى إلّا مَساكِنَهم"[2]، وفيه التفات.

فائدةُ استعمال مفردة المساكن دون البيوت:

التَّلويحُ بغفلةِ عادٍ في مساكنِهم وإيثارهم طمأنينة العيش

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظِ المساكن دون البيوت في قولهِ جلَّ شأنه: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾؛ لأنَّ البيت هو المَأوَى والمآبُ ومَجْمَعُ الشَّملِ[3]، أمّا المسكن؛ فهو يدلُّ على خِلافِ الاضطِرابِ والحَرَكَةِ[4]، سَكَنَ فُلانٌ البَيْتَ؛ إذا جَعَلَهُ مَقَرًّا لَهُ، وهوَ مُشْتَقٌّ مِنَ السُّكونِ، أي: القَرارِ[5]، فالمسكن يتضمَّن السَّكينة والطُّمأنينة والاستقرار والرّاحة، فلمّا كان المسكن يتضمَّن الرّاحة والاستقرار؛ عبَّر به؛ لبيان أنَّ هذه المساكن كانت وفيرة الخير والبركة، ولكنَّ أهلها آثروا العمى على الإيمان، فنالوا سوء المصير.

بلاغةُ التَّعريفِ بالإضافة:

كلُّ مستمتعٍ زائلٌ وإن بقيتْ مساكنه

أضاف النَّظمُ الجليل لفظ المساكن إلى الضَّمير في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾؛ للدَّلالة على المساكن الَّتي بقيت آثارًا هي مساكن من جاءهم الوحي، وكفروا به، لا مساكن أقوام جاءت بعدهم، والإضافة بمعنى اللام، أي: مساكن لهم ملكوها، واستمتعوا بها، فبقيت آثار الاستمتاع، وذهب المستمتعون بلا باقية.

(1) مكي، الكشف: 2/ 274.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 183.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بيت).
(4) الرّاغب، المفردات: (سكن).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 238.

دلالةُ فصل الجملة:

القصصُ عِبرةُ السّامعين وموعظةُ المتعقّلين

فصل النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ لأنَّها مستأنفة معترضة سيقت؛ لبيان المقصود من الخطاب وغايته[1]، فإنَّ هذا الجزاء ليس مخصوصًا بهم ولا مقصورًا عليهم، بل ينتظر من كان على شاكلتهم من أهل مكَّة وغيرها[2]، فهو مساق لتهديد قريش والمشركين[3].

معنى الكاف ودلالتها:

تماثلُ الجزاء بتماثل الجرم سنَّة من سنن الله

عبَّر النَّظم الجليل بكاف التَّشبيه في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على تماثل الجزاء عند تماثل الجرم، أي: نجزيهم مثل هذا الجزاء "الهائل في أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الإهلاك"[4].

نكتةُ استعمال اسم الإشارة للبعيد:

وضوحُ سنن العذاب تلويحٌ بالهلاك

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ باسم الإشارة الدّالِّ على البُعد في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على فظاعة الجزاء الَّذي حكم به الله تعالى عليهم[5]، فهو عذاب في غاية البعد في الإهلاك، فهو من باب إنزال البعد المعنويِّ منزلة البعد الحسّيِّ لاشتراكهما في التَّفاوت والتَّباين، وللإيماءِ إلى وضوح الإهلاك في نظر العقلاءِ، فهو بعيدٌ باعتبارِ كبير شأنه وبيان أمره في ذهن المخاطَبين.

سرُّ إيثار التَّعبير بالجزاء دون العذاب، مادَّة وصيغة:

الجزاء ما يُقابل الجرمَ بالعدلِ والاعتبارِ

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالجزاء دون العذاب في قوله جلَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 171.
(2) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 323، والقاسمي، محاسن التأويل: 8/ 450.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 51.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 171.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 86.

شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، فلم يقل: (كذلك نعذِّب المجرمين)؛ وذلك لدلالة الجزاء على المقابلة والكفاية، فالجزاء "ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيرًا؛ فخيرٌ، وإن شرًّا؛ فشرٌّ"[1]، فدلَّ على أنَّ ما وقع لهم من العذاب إنَّما كان للمجازاة والمقابلة على سوء أفعالهم وإجرامهم، وجاء التَّعبير بالفعل المضارع؛ للدَّلالة على أنَّ الله تعالى يجزيهم بذلك على وجه الدَّوام[2]، فهو سنَّة من سنن الله الجارية في خلقه، فالتَّجدُّد ليس لخصوص عادٍ، بل لمن سار على دربهم، فهي سنَّةٌ ماضيةٌ لا تنحصر بقومٍ دون آخرين.

نكتةُ إسنادِ فعل الجزاء إلى ضمير العظمة:

عبَّر النَّظمُ الجليل بفعل الجزاء المسند إلى نون التَّعظيم في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الجزاء يقع بعظمة الله تعالى[3]، فهو عظيمٌ باعتبارِ مصدره وذاته.

نكتةُ ذكرِ لفظ ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾:

وربَّ قومٍ يقومونَ بالإجرامِ

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظ القوم في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ دون أن يقول: (كذلك نجزي المجرمين)؛ فزيد لفظ القوم؛ للدَّلالة على تمكُّن الإجرام منهم، حتّى صار صفة من مقوِّمات قوميَّتهم، وإشارة إلى أنَّ الجزاء يشمل عموم القوم[4].

براعةُ الوصفِ بلفظ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾:

اكتسابُ الآثام صفة راسخة في الكافر

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالإجرام في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ لدلالة الجرم على قطع الثَّمرة عن الشَّجر، واستعمل لكلِّ اكتساب مكروه[5]، وذلك أنَّهم يقطعون ما أمر الله

(1) الراغب، المفردات: (جزا).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 171.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 171.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 48.
(5) الراغب، المفردات: (جرم).

تعالى بوصله، وجاء التَّعبير بصيغة اسم الفاعل؛ للدَّلالة على أنَّهم عريقون بصفة الإجرام[1].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

التَّدمير والإهلاك:

الهلاك يَدُلُّ عَلى كَسْرٍ وسُقوطٍ، ولذَلِكَ يُقالُ لِلمَيِّتِ: هَلَكَ[2]، والهلاك بطلان الشَّيء من العالم وعدمه رأسًا، وذلك المُسمّى فناء المشار إليه بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88]، ويُقال للعذاب والخوف والفقر: الهَلاكُ، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ [مريم: 74]، وهَلاك الشَّيء باستحالة وفساد، كقوله: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: 205][3]، أمّا التَّدمير؛ فهو يَدُلُّ عَلَى الدُّخولِ في البَيتِ وغَيرِهِ[4]، أي: إدخال الهلاك على الشَّيء[5]، وعبَّر في الآية الكريمة بالهلاك؛ لأنَّه أراد إزالة تلك القرية وإفناء وجودها بإدخال الهلاك عليها.

الـهـلاك هـو الفساد وإعدام الـشَّيء، والتَّدمير دخول الهلاك لمكان ما

المسكن والبيت:

البيت هو المَأوى والمآبُ ومَجْمَعُ الشَّملِ[6]، وهو مَأوى الإنسانِ باللَّيلِ، وهو كُلُّ ما لَهُ جِدارٌ وسَقْفٌ، وإن لم يَكُن بِهِ ساكِنٌ[7]، والبيت: مكانٌ يُجعَلُ لهُ بِناءٌ وفُسطاطٌ يُحِيطُ به، يُعَيِّنُ مكانَهُ؛ لِيَتَّخِذَهُ جاعِلُهُ مَقرًّا يأوِي إليه، ويَستَكِنُّ به من الحَرِّ والقَرِّ[8]، أمّا المسكن؛ فأصله من (سكن)، وهو يَدُلُّ على خِلافِ الاضطِرابِ والحَرَكَةِ[9]،

البـيـت هـو المـأوى الَّـذي يَـأوي الـنّاس، والمسكن ما فيه راحة واستقرار

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 171.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هلك).
(3) الراغب، المفردات: (هلك).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دمر).
(5) الراغب، المفردات: (دمر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بيت).
(7) الخليل، العين: (بيت).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 237.
(9) الرّاغب، المفردات: (سكن).

فالسُّكونُ ضدُّ الحركة[1]، والسَّكَنُ: اسمٌ بِمَعنَى المَسكونِ، والسُّكنَى: مَصدَرُ سَكَنَ فُلانٌ البَيتَ؛ إذا جَعَلَهُ مَقَرًّا لَهُ، وهوَ مُشتَقٌّ مِنَ السُّكونِ، أي: القَرارِ[2]، فالمسكن يتضمَّن السَّكينة والطُّمأنينة والاستقرار والرّاحة، فلمّا كان المسكن يتضمَّن الرّاحة والاستقرار؛ عبَّر به في الآية؛ لبيان أنَّ هذه المساكن كانت وفيرة الخير والبركة، ولكنَّ أهلها آثروا العمى على الإيمان، فنالوا سوء المصير.

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (سكن).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 238.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"